

البنية في الخطاب النقدي النسقي

مقاربة مصطلحية

د/ صليحة بردي

كلية الآداب واللغات

جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة (الجزائر)

الملخص:

تحدد الأنساق المصطلحية ماهية المعرفة، وإذا ما تم تجاهل هذا التحديد فإن تقفي آثارها، وتمثل تصوراتها الممكنة يكون ضربا من المستحيل؛ لأن الممارسة المنهجية وإن كانت تمثل جوهر الدرس النقدي، فإن الجهاز المصطلحي يحقق حركية ودينامية هذه الممارسة من الناحيتين النظرية والإجرائية، في ضوء هذه الأهمية فرض التجريب الاصطلاحي في منظومة الخطاب النقدي ذاته كإشكالية من شأنها قلب الموازين، إذا ما تحققت لها حلول مقنعة؛ لأن التغيير الذي يلحق منظومة الاصطلاح النقدي يفرض تعديلا في تشكيل المنظومة المنهجية، والتصور القرائي المعول عليه في مقاربة النص، وإذا كانت هذه الأخيرة تتصدر اهتمامات التفكير النقدي، فإن مساءلة المصطلح ضمن مقاربة محايدة تعنى بنسقه، أصبحت هي الأخرى من تحديات هذا التفكير، ومن أسئلته المثيرة للجدل.

الكلمات المفتاحية: الأنساق المصطلحية، ماهية المعرفة، الممارسة المنهجية، الدرس النقدي، التجريب الاصطلاحي، الخطاب النقدي، مقارنة النص، التفكير النقدي، المصطلح.

Résumé :

La terminologie détermine «l'essence de la connaissance»; en négligeant cette détermination, il sera impossible de saisir ses conceptions car, la pratique méthodologique étant la substance du discours critique, or la terminologie sert à atteindre la cinétique et la dynamique de cette application, théoriquement et pratiquement. Etant de cette importance, l'expérimentation terminologique s'impose dans la communauté du discours critique en tant que «problématique tourmentante» car si elle est munie de solutions, éloquentes, le changement joint à l'ensemble de la réforme critique, exige quelques ajustements dans la communauté méthodologique et la perception du lecteur dans l'approche textuelle qui vient en tête des sollicitations de la pensée critique. Néanmoins, une approche neutre du texte, est aussi l'un des déficit de cette pensée, de ses affaires dialectiques.

Mots clés: Terminologie, essence de la connaissance, pratique méthodologique, cours critique, expérimentation terminologique, discours critique, approche textuelle, pensée critique, terme.

مقدمة

إن من أولى مزالق الاصطلاح في الخطاب النقدي، خاصة نقد النسق الغموض، والتماهي، والافتقار إلى الدقة، والبحث عن حلول لهذه المزالق لا بد من ضبط المصطلح النقدي من حيث الصيغة اللسانية، ودلالته النظرية وفاعليته الإجرائية، ولا تتأني كل هذه المساعي إلا بضبط حقله الاصطلاحي، فكيف نقارب المصطلح النقدي في الحقل البنيوي مقارنة نسقية داخلية؟.

يستمد الاصطلاح البنيوي مادته الخام من النظام اللغوي؛ حيث تتحدد دلالاته تبعاً لخصائص اللغة، شريطة أن تتم تركيبة هذه الدلالة بإجماع أهل الاختصاص¹، ومن المصطلحات التي شاع تداولها في شتى خطابات المعرفة، "البنية" إذ استقطبت اهتمام أهل الفكر على مر عقود من الزمن في سياق البحث والمكاشفة نظيراً وإجراءً، ونظراً لصعوبة ضبط التصور المعرفي الذي يتخذ من البنية حقلاً للتأويل بمعزل عن ضبط مفهوماها، غدت هاجساً معرفياً، وحقيقة جوهرية في شتى العلوم، لا يتم إدراكها من أجل ذاتها إلا في حدود ذاتها، من هذا المنطلق تأسست ضرورة تحديدها، وضبط تعريفها، فماذا نعني بالبنية في بعديها اللغوي واللساني؟ وأي مفهوم تستحوذ عليه في حقل الممارسة النقدية البنيوية؟.

مقاربة مصطلحية للثنائية (بنية - بنيوية):

ورد ذكر مصطلح "بنية" في القرآن الكريم بصيغ متعددة، منها الفعل (بنى)، والأسماء (بناء)، و(بنيان)، و(مبنى)، نحو قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ

1- ينظر: عمار ساسي، المصطلح في اللسان العربي من آلية الفهم إلى أداة الصناعة، ط1، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، 2009، ص 94.

أَعْلَمَ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا¹، وقوله عز وجل: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾²، وقوله تبارك وتعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾³.

وأنت المعاجم العربية على ذكر هذه الصيغ وغيرها، ومن ذلك ما قيده "ابن منظور" في معجمه "لسان العرب": «الْبُنْيُ: نقيض الهدم، بَنَى الْبِنَاءَ، الْبِنَاءُ بَنِيًا وَبِنَاءً وَبَنَى، مقصور، وَبُنْيَانًا وَبُنْيَةً وَبِنَايَةً وَابْتَنَاهُ وَبَنَاهُ)، (والبناء: المبنى، والجمع أَبْنِيَّةٌ، وَأَبْنِيَّاتٌ، جمع الجمع.)، والْبُنْيَةُ وَالْبُنْيَةُ: ما بَنَيْتُهُ، وهو الْبَيْتُ وَالْبُيُوتُ)، (يقال بُنْيَةٌ، وهي مثل رِشْوَةٍ وَرِشَاكَانٍ الْبُنْيَةُ الهَيْئَةُ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا..)، (وَالْبُنْيُ، بالضم مقصور، مثل الْبَيْتِ. يقال: بُنْيَةٌ وَبُنْيٌ وَبُنْيَةٌ وَبُنْيٌ، بكسر الباء مقصور مثل جَزِيَةٍ وَجَزَى.)، (وَأَبْنَيْتُ الرَّجُلَ: أعطيتُه بناءً أو ما يَبْنِي بِهِ داره..»⁴.

وكذلك «بني: بَنَا فِي الشَّرَفِ يَبْنُو؛ وَعَلَىٰ هَذَا تَوَوَّلَ قَوْلُ "الْحَطِيطَةُ": "أَوَّلُكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبُنَا"، قَالَ "ابن سيدة": قالوا: إنه جمع بُنُوءٍ أو بَنُوءٍ؛ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ:

1- سورة الكهف، الآية: 21.

2- سورة البقرة، الآية: 22.

3- سورة التوبة، الآية: 109.

4- ابن منظور، لسان العرب، مج2، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، (د.ت.ط)، ص 160-161.

أنشدت أعرابياً هذا البيت أحسنوا البناء، فقال: أي بُنا أحسنوا البُنا، أراد بالأول أي بُني¹.

تحيلنا هذه الاقتباسات إلى معاني البناء، والعمارة، والتشييد؛ دلالة على أن الإتقان والزيادة في المبنى تحقق الإتقان والزيادة في المعنى، والكل محكوم ببناء ما يميزه النظام والترتيب، والتناسق، والتأليف بين عناصره الخاصة من حيث الماهية، والنوعية.

وجاء في المصنفات الحديثة: أن «بُنية [مفرد]: ج بُنى: ما بُني "الصناعة ووسائل الإنتاج" هي بُنى تحتية، أما "القوانين والأدبيات" فهي بُنى فوقية بُنية، هيئة البناء وتركيبه، بُنية الكلمة: بناها، صيغتها الصرفية بُنيويّة [مفرد]: اسم مؤنث ومصدر صناعي منسوب إلى بُنية²»، والبنية من البناء، و«هو مجموعة القوانين التي تحكم سلوك النظام، ومكوناته إذ يمكن أن تحل إحداها محل الأخرى»³.

ومن دلالات البنية أنها «الترباط المحكم القائم بين أجزاء اللغة الواحدة، بحيث ينتظم كل أشكال هذه اللغة، وصورها سواء في تركيب الأصوات، وتركيب الجمل، فلا يمكن مثلاً

1- ابن منظور، لسان العرب، مج2، ط3، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2004، ص 158.

2- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج1، ط1، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، 2008، ص 252.

3- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، ط1، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، أربد - عمان، الأردن، 2009، ص 94.

دراسة لفظ في نظام معجمي، إلا بعد دراسة بنية اللغة التي ينتسب إليها هذا النظام المعجمي»¹.

إن البنية في بعدها الاصطلاحي تميزها خصوصيات تعدد المعنى، والتوقف على السياق، والمرونة، ولا بد من الحذر في التعامل مع هذا المصطلح من تلك التواشجات التي تربطه بمصطلحات أخرى كالوظيفة، والنظام وما يتصل بهما من دلالات. والبنى أنواع؛ منها البنية التركيبية، وهي في أبسط تعريف لها نظم الألفاظ في وحدات لسانية، وترتيب هذه الوحدات يتم وفق النظام اللغوي، والبنية السطحية من وجهة نظر "تشومسكي" بنية ظاهرة عبر تتابع الكلمات في خطاب المتكلم، أما البنية العميقة فهي جملة القواعد التي من شأنها إيجاد هذا التتابع، ويتم تمثيلها ذهنياً وفق ملكة الإدراك، فهي حقيقة عقلية يعكسها التتابع اللفظي للجمل، وتأخذ بعداً تداولياً في الاستعمال، يُعنى أساساً بتجاوز نسق النص إلى خارجه، مع مراعاة صلة العلامة اللسانية بمستعملها في سياق تأديته للخطاب اللغوي².

ويعرّف "روجر فاوولر" مصطلحي البنية السطحية، والبنية العميقة بقدر من التفصيل على أن الأولى هي «الطبقة الممكنة ملاحظتها، أو المعبر عنها، للجملة على نحو ملموس أكثر (الصوت والرموز المكتوبة)؛ وإلى حد ما أكثر تجريدية التركيب، ترتيب العبارات والكلمات، أما البنية العميقة فهي المضمون التجريدي للجملة؛ بنية المعنى التي يتم التعبير

-
- 1- جبرار جهامي، سميح دغيم، رفيق العجم، موسوعة مصطلحات الفكر النقدي العربي والإسلامي المعاصر، ج1، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 2004، ص 378.
 - 2- ينظر: نعمان بوقرة، مرجع سابق، ص 95.

عنها بحيث نعيش تجربة مع البنية السطحية بشكل مباشر، لكن نكتشف البنية العميقة، أو المعنى فقط عن طريق العملية المعقدة لحل الشيفرة»¹.

إن البنية السطحية بنية شكلية؛ أي الشكل الذي تأخذه الجملة في أبعادها الصوتية والتركيبية، والمعجمية، أما البنية العميقة فهي بنية المعنى، أو المضمون الذي تعكسه هذه الجملة اعتماداً على تشكيلها اللغوي، وحل شيفرة المعنى مقترن بتشريح هذا التشكيل.

وأصل المصطلح في اللغات الأجنبية: «البنية (Structure)» أو (Structura) باللاتينية، وهي مشتقة من الفعل اللاتيني (Struere)²؛ بمعنى بَنَى للدلالة على هيئة الشيء، وكيفية تظهريه وتحليله³، ولم يتحدد المعنى الدقيق لكلمة (Structure) «إلا في عام 1926، وعلى يد مدرسة براغ اللسانية، ويفيد هذا المصطلح معنى الترتيب الداخلي للوحدات التي تكوّن النظام اللساني»⁴.

والمقصود بالترتيب الداخلي انتظام هذه الوحدات أو العناصر المشكلة للنظام في نسق لساني خاص، يأخذ هذه الخصوصية من النظام نفسه، بما فيه من طاقات تعبيرية

1- روجر فاوولر، اللسانيات والرواية، تر. لحسن أحمامة، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص 23.

2- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، 2002، ص 119.

3- ينظر: بشير تاويريت، مناهج النقد الأدبي المعاصر - دراسة في الأصول والملاح والإشكالات النظرية والتطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2008، ص 15.

4- نعمان بوقرة، مرجع سابق، ص 95.

كامنة، وإذا ما تحقق التوافق بين نسق الوحدات الخاص، ونسق النظام العام، نكون حتما بصدد بنية لسانية متكاملة، وقابلة للتفكيك في الآن ذاته.

وأهم ما ميّز التوظيف القديم لمصطلح البنية في اللغات الأوروبية الوضوح، والبساطة، والتطور؛ «فقد كانت تدل على الشكل الذي يُشيد به مبنى ما، ثم لم تلبث أن اتسعت لتشمل الطريقة التي تتكيف بها الأجزاء لتكوّن كلا ما سواء كان جسما حيا، أو معدنيا، أو قولاً لغوياً، وتضيف بعض المعاجم الأوروبية فكرة التضامن بين الأجزاء، وهي فكرة منظور إليها ضمناً في التعريف الأول؛ لأن المبنى ينهار إن لم يكن هناك تضامن بين أجزائه، وعلى هذا الأساس فإن البنية هي ما يكشف عنه التحليل الداخلي لكل ما، والعناصر والعلاقات القائمة بينها، ووضعها والنظام الذي تتخذه»¹.

مصطلح البنية إنما ينطلق مبدئياً من أبسط تعريف لها على أنها ذلك الكل المكون من جملة من المعطيات المتناسقة والمترابطة، بحيث يحقق كل عنصر منها كينونته النسقية؛ أي ما هو في ضوء ما يربطه من علاقات مع ما عداه من عناصر بغض النظر عن طبيعة هذه العناصر، وكذا صلات التفاعل القائمة فيما بينها.

اقترحت الممارسة الترجمة للفظ "بنية" صيغاً مصطلحية عديدة؛ منها التركيب، إذ يقال: بنيوي وتركيب (Structural)، وبنيوية، وتركيبية، وبنيانية (Structuralisme)، وكذلك بنية تركيبية (Structure)²، والأمر ذاته

1- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1985، ص 176.

2- ينظر: بوعناني سعاد آمنة، بين المفهوم والمصطلح - المصطلح اللساني نموذجاً، مجلة المصطلح، ع1، إصدار مخبر العلوم الإنسانية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، مارس 2002، ص 229.

بالنسبة لمصطلح "الهيكلي" (La structure)؛ أي (البنية)، والهيكليّة (Le structuralisme)؛ أي (البنويّة)، والهيكليّ (العقل) (Le structuraliste)؛ أي (البنوي)، والهيكليّ (غير العقل) (Le structural)؛ أي (البنوي)¹، وقد تحقق تداول مصطلح "الهيكليّة" فترة من الزمن في بعض أقطار المغرب العربي للدلالة على منهج محدد في مقارنة النصوص، مقارنة حدثية أطلق عليها فيما بعد مصطلح "البنوية"، وشاع ذلك في الاستعماليين اللساني، والنقدي.

واللافت للنظر في المصطلحية النقدية عند العرب في الحقل البنوي تحديدا أنهم قد تنازعوا ترجمة مصطلح (Structuralisme) تنازعا كبيرا «فإذا نحن أمام ما يناهز العشر ترجمات (البنوية، البنوية، البنية، البنائية، الهيكليّة، التركيبيّة، الوظيفيّة، البنائية...) ... نصطفي من بينها جميعا مصطلح (البنوية) ونتخذه مصطلحا مركزيا؛ لشيوعه بدرجة أولى، ولأنه لا يחדش القاعدة اللغوية كثيرا، وإن كان مصطلحا (البنية) و(البنوية) هما الأسلم من حيث القياس اللغوي»²، وإذا كان المرجع في اللغة الأجنبية هو ذاته فإن الإحالة تتعدد في اللغة المترجم إليها، وهذه التعددية عوض أن ترفع اللبس وتحقق الوضوح في الدلالة أقبلت تفيد العكس بسبب التداخل المصطلحي، وتجاوز خصوصية اللغوية.

ومن مصطلحات الحقل الدلالي للبنوية مصطلح "الشكلانية"، حيث «يأتي الصوغ البديل الذي يتوسل بالقلب المزدوج إمعانا في تركيز المعنى على النزعة المذهبية، وذلك

1- ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط2، الدار العربية للكتاب، 1982، ص 204.

2- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، مرجع سابق، ص 121 - 122.

بواسطة المصدر الصناعي المكتنز باللاحقة العرفانية: الألف والنون، يتم اشتقاق لفظة "الشكلانية"، ومنها "الشكلاني"، ويكاد يتمخض هذا القلب المصطلحي للدلالة على منبع النظرية في جذورها الروسية¹.

وهناك مصطلح "الشكلية"، للإحالة إلى «نزعة ترمي إلى تغليب الشكل، والقيم الجمالية على ما في العمل الأدبي من فكرة، أو خيال، أو شعور، وجاء النقاد المحدثون فالتقطوا هذه المفاهيم للشكل باعتباره كيفية في إنتاج المضمون، وليس مجرد بناء له»²، فالشكل حقيقة النص، وجوهر معناه، ولا تتحقق فاعلية هذا الأخير إلا بتأويل جملة الوظائف النسقية التي يؤديها الشكل اللغوي، وتتحكم بطريقة ما في توجيه هذا المعنى، بمعزل عن كل السياقات الخارجة عن نسق هذا الشكل.

تتعدد المصطلحات وتختلف باختلاف طبيعة الخطاب النقدي، ففي الحقل البنيوي الشكلي نجد من المصطلحات الآتي ذكره: نظام (Ordre)، ونسق (Système)، وبنية (Structure)، وعلامة (Signe)، ودال (Signification) وتعاقب (Diachronie)، وتوافق (Synchronie)، بينما نجد في حقل البنيوي الدينامي: رؤية العالم (Vision du monde) والبطل المشكل (Héros problématique) وبنية اجتماعية (Structure sociale)، والتفسير

1- عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، (د.ت.ط)، ص 117.

2- بشير تاويريت، مرجع سابق، ص 41.

(Interpration)، وكذلك مصطلحي البنية الكلية (Structure)

(globale)، والوعي الفعلي (Conscience Empirique)¹.

أما مصطلح البنيوية فأثار الفضول للبحث في بنائه اللفظي السليم؛ إذ عمد بعض النقاد العرب ممن ينقصهم شيء من الحس اللغوي المصقّى إلى إطلاق الاستعمال الخاطئ "بنيوية"؛ مما أثار حفيظة "عبد الملك مرتاض" فقال معترضا: «وذلك عوضا عن الاستعمال النحوي السليم الذي هو إمّا بِنِيَّةٌ وذلك كما تقول في النسبة إلى فِتْيَةٍ فِتْيِيٍّ على القياس؛ لأنك تُجرِّه مجرى ما لا يعتلّ... كما يمكن أن يقال: بَنَوِيٍّ، وهو في رأينا أخف نطقا، وأكثر اقتصادا لغويًا... وأصل اللفظ هو البِنِيَّة، فيقال: بَنِييٍّ، وهو ثقیل في النطق؛ وأما أن يكون على القلب، فيقال: بَنَوِيٍّ، وهذا الإطلاق، بالإضافة إلى سلامته من الخطأ؛ هو الأحق بالضرورة نطقه على اللسان، والأجمل حتما وقُعه في الآذان؛ فلا ندري كيف ذهب الاستعمال النقدي العام المعاصر إلى هذا الخطأ الفاحش الذي لا مبرر له؛ ... ذلك بأن الاستعمال الخاطئ حين يصرّ على استعمال البِنِيَّة فهو إمّا ينسب هذا المذهب إلى لفظ غير موجود في الأصل؛ لأن البنيوية تعني أن الأصل هو "بِنِيَّة"؛ وذلك حتى يمكن قلب الياء الثانية واوًا...»².

1- ينظر: سمير سعيد، مشكلات الحداثة في النقد العربي، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، 2002، ص 84.

2- عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد (متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 190 - 191.

إلا أننا نجد صاحب هذه المقولة يوظف مصطلح (بنوية) في دراستين له، وهما: الأمثال الشعبية الجزائرية¹، والنص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟²، ليس من باب التناقض في إطلاق الرأي، وإنما على الأرجح هو الاستسلام للشائع المتداول في التوظيف.

المصطلح البنيوي قراءة في الأنساق المعرفية:

يمتد مصطلح البنية بجذوره الدلالية في التراث النقدي العربي، وهذا ما أكدّه "عبد الله محمد الغدامي" حين قال: «وما دام "الرجاني" قد أخذ بمفهوم إشارية اللغة، فلا بد أن فكرة البنية كانت في أعماق تفكيره؛ لأن علاقات الإشارات مع بعضها تتضمن (الإسناد)، وتفضي إلى (الأوصاف اللاحقة) وإدراكها يكون بالتأويل، ومن هنا فإنّ (البنية) تصبح مفهوماً رجانياً يمثل ما هي مفهوم ألسني»³؛ أي أن هناك تشابه في المقولات والتصورات، إلا أن الاختلاف يكمن في المسميات أو الاصطلاح تبعاً لخصوصية المرجع الثقافي.

1- عبد الملك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية (تحليل لمجموعة من الأمثال الزراعية والاقتصادية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 2007، ص 6/114.

2- عبد الملك مرتاض، النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1983، ص 50/54/60.

3- عبد الله محمد الغدامي، المشاكلة والاختلاف (قراءة في النظرية النقدية العربية، وبحث في الشبيه المختلف)، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، لبنان/المغرب، ط1، 1994، ص، 32.

وإذا ما عدنا إلى الأصول المعرفية لأهم المصطلحات التي وظفتها البنيوية في النقد الأدبي، نجد أن علم اللغة يمثل المرجع الحقيقي لها، وفي مقدمتها «مصطلح البنية؛ لأنه هو التأسيس في العملية كلها، ومصطلح البنية كان قد نشأ في علم النفس موازيا لفكرة الجشطالت أو الإدراك الكلي، وكان قد نشأ في الأنثروبولوجيا أيضا لإدراك نظم العلاقات في المجتمعات البدائية والإنسانية بصفة عامة، ونشأ أيضا في علم اللغة، وأصبح من الضروري - أيضا - في النقد الأدبي، ولعل أبرز ناقد فرنسي أعطى لمصطلح البنية منطلقه الأول كان "رولان بارت" في دراساته ومقالاته النقدية النظرية والتطبيقية»¹.

وشاع توظيف مصطلح "بنية النص" في أكثر المقاربات النقدية واللسانية، على أنها «نظام من عناصر مترابطة عضويا يتكون منها النص، تشمل البنية أقسام النص وطريقة صياغته، بما فيها أدوات الربط بين الجمل والفقر، وهي التي تجعله نصا متماسكا، فلكل نص بنيته، كما أن لكل نص نمطه، والبنية في النص تعني إعادة تشكيل تصميمه وعناصره، انطلاقا من المفاصل، والروابط الأساسية (التصميم: الشكل، والتأليف: اللغة والصياغة)»². والبنية وإن حققت حضورها الفعلي على مستوى أنماط التفكير المختلفة نجدها تستحيل في كل مرة بنية مختلفة عما سواها، تبعا لطبيعة الحقل المعرفي الذي تنصدر اهتماماته بوصفها البنية الأساسية المشكلة لنظامه، وانطلاقا منها تحدد ماهيته النظرية، وتأويله الإجرائي.

1- صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 1996، ص 92.

2- يوسف مارون، اللغة والدلالة - معجم في اللغة العربية، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، ليبيا - لبنان، 2007، ص 91.

وإذا كان كل من "كانط"، و"ماركس"، و"دور كايم" وغيرهم من المفكرين قد تفتنوا إلى الأهمية التي يستحوذ عليها مفهوم الكل، وأنه يقع موقع التجاوز بالنسبة لكل جزء من الأجزاء المكونة له، فإن هؤلاء قد أغفلوا الإشارة إلى «النظم نفسه؛ أي التأليف الذي يستلزم أن تكون لكل جزء داخل المجموعة صفات خاصة تشاركه فيها بعض الأجزاء، وتغايره بها أجزاء أخرى، فباتساقه بتلك الصفات تكون له مع كل واحد من الأجزاء الأخرى علاقة ونسب، ومجموع هذه النسب تسمى (في اصطلاح علماء هذا العصر) الصور أو الصيغة (Forme)، أو النظام (Systeme)، وأطلق عليها فيما بعد لفظ البنية (Structure)؛ لأنهم اعتبروا في التأليف "البناء"¹، وللبناء ما يقابله في اللغة الأجنبية ألا وهو مصطلح الطريقة (mode) «فالطريقة تتضمن البناء، والنسج، ومستويات اللغة، وكل ما يتعلق بالأسلوب، وقد أصبحت كلمة شائعة»².

والبناء نظام تشكله جملة من العناصر المتناسقة، وعلاقات التناسق هذه لا تستمد قيمتها من ذاتها بقدر ما تستمدها من ذلك التفاعل الذي تفشيه بين الأجزاء المكونة للنظام التي لا تتحد فاعليتها إلا في كنفه، ومن هذه الزاوية باشر الدارسون البحث في ماهية اللغة، وما تفترضه من طروحات نظرية وإجرائية في الدرس اللغوي.

والبنائية في أساسها تجسد أهمية النموذج أو البناء في شتى ضروب المعرفة، وتجعل علاقات النسق الباطن تتصدر أولويات الإدراك، ووفق هذا المنظور تركز البنيوية في صميمها

1- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2007، ص150.

2- محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة - دراسة ومعجم إنجليزي - عربي، ط3، الشركة المصرية العالمية للنشر - كونجمان، مصر، 2003، ص 105.

على النسق الداخلي، أي «دراسة البنى الصغيرة التي تكوّن النص من داخل النص ذاته في علاقاتها بعضها ببعض على أساس أن العلامة اللغوية ليست رمزا لشيء خارجي، بل إنها تسبق الشيء الخارجي في حقيقة الأمر، ومن ثم يجب دراستها في عزلة عن دلالتها المادية خارج النص، وهو ما يطلقون عليه النصية (Textuality)»¹.

والبنوية في اشتغالها النصي «منهج نقدي ينظر إلى النص على أنه بنية كلامية تقع ضمن بنية كلامية أشمل يعالجها معالجة شمولية، تحول النص إلى جملة طويلة، ثم تجزئها إلى وحدات دالة كبرى، فصغرى وتتقصى مدلولاتها في تضمن الدوال لها، يمثلها "سوسير" بوجهي الورقة الواحدة، وذلك في إطار رؤية نسقية تنظر إلى النص مستقلا عن شتى سياقاته، بما فيها مؤلفه، وهنا تدخل نظرية "موت المؤلف" لـ "رولان بارت"، وتكتفي بتفسيره تفسيراً داخلياً وصفيّاً، مع الاستعانة بما تيسر من إجراءات منهجية علمية كالإحصاء مثلاً»²، فالولادة الحقيقية للنص مقترنة بالضرورة بفكرة موت مؤلفه؛ ذلك أن النص إنما يحقق استقلاليتته، وانفصاله الخاص عن كاتبه بمجرد أن يفرغ هذا الأخير من فعل الكتابة.

أما نسق النص من منظور التصور البنيوي، فهو «نسق من العلاقات الباطنة المدركة وفقاً لمبدأ الأولوية المطلقة لكل على الأجزاء، له قوانينه الخاصة المحيطة من حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي على نحو يفرض فيه أي تغير للعلاقات إلى تغير

1- جيرار جهامي، سميج دغيم، رفيق العجم، مرجع سابق، ص 386.

2- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، مرجع سابق، ص 120.

النسق نفسه، وعلى نحو ينطوي معه المجموع الكلي للعلاقات على دلالة يغدو معها النسق دالا على معنى معين»¹.

أما عن تظاهر البنية النسقية في رأي "جان بياجيه" فتتجلى «بتقدير أولي مجموعة تحويلات تحتوي على قوانين كمجموعة تقابل خصائص العناصر تبقى تغطي بلعبة التحويلات نفسها، دون أن تتعدى حدودها، أو أن تستعين بعناصر خارجية»²، وفي هذا التعريف إقصاء تام للسياقات المحتملة التي قد تتحرك البنى في فلکها، كما أن هذه الأخيرة من وجهة نظر هذا المفكر إنما هي ذلك النظام الذي تؤسسه جملة من قوانين التحول التي تتحكم في حركية العناصر الجزئية، انطلاقا منها وانتهاء إليها، دون الاستعانة بما هو خارجي بالنسبة إليها.

ويحدد "ليفى شتراوس" البنية بأنها: «تحمل - أولا وقبل كل شيء - طابع النسق أو النظام، فالبنية تتألف من عناصر يكون من شأن أيّ تحول يعرض للواحد منها، أن يحدث تحولا في باقي العناصر الأخرى»³، ويعمد هذا المفكر إلى عرض تصوره الخاص

1- أديث كرزويل، عصر البنيوية، تر. جابر عصفور، ط1، دار سعد الصباح، الكويت، 1993، ص، 483.

2- جان بياجيه، البنيوية، تر. عارف منيمنة وبشيرى أوبري، ط4، منشورات عبيدات، بيروت - باريس، لبنان - فرنسا، 1985، ص، 08.

3- زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص، 31.

لمفهوم البنية بمقارنتها بثنائية المادة والشكل؛ على أساس «أن الشكل هو مظهر البنية الخارجي...»¹.

أما "غريغاس" فتعامل مع مفهوم البنية محددا إياه «بوجود علاقة دلالية بين "سمتين" أو أكثر»²، وأضاف "جان كوهن" في معرض هذا التعالق الدلالي مسألة «أن الشكل هو اللغة والأسلوب، ومجموع العلائق القائمة بين الكلمات المتعارضة دلاليا، وبناء على العلاقة القائمة بين الشكل والمضمون إلى حد التحامهما في بنية»³.

هذا ما أكدته "أندريه مارتينييه" أيضا حين صرح بـ «أن "البنية" لا تشير إلى عملية البناء نفسها، ولا إلى المواد المكونة لها؛ لأنها تتعلق أساسا بالكيفية التي جمعت بها العناصر، ورُكبت في تآلف لتحقيق الشيء من أجل أغراض معينة»⁴.

ويستحيل عزل أي نص عن البنيات التي تشكله، فهي الجوهر الذي يحدد ماهيته، وإذا ما أحكم الناقد قبضته على المرجعية النسقية التي تؤسس هذا التشكيل يكون قد قطع شوطا لا بأس به في مقارنته لهذا النص، مع مراعاة أن النص يجسد نظام اللغة تجسيدا بنيويا، والقواعد التي تحكم انتظام البنية اللسانية إنما تستمد مرجعيتها من قواعد النظام اللغوي، واللغة تأسس بناء المعنى فهي تتعدى كونها مجرد ناقل له.

1- محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي - نماذج تحليلية من النقد العربي (المنهج البنيوي - البنية - الشخصية)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ص 66.

2- المرجع نفسه، ص 66.

3- المرجع نفسه، ص 66.

4- حبيب مونسى، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي - دراسة في المناهج، منشورات دار الأديب، وهران، 2007، ص 174.

ويحتفظ الفرنسي الروماني الأصل "لوسيان جولدمان" بالتصور الشكلي في تعامله مع "البنية" ثم يلبسها دلالات تتلاءم وحقول البحث فيها تبعا لمجال تخصصه، «فهو تعني تجليات الشكل في خصائصه المختلفة، وهي "بنية" تعني المضمون الفكري لزمن معين... وتلك مرونة تُمكن الدارس من إفراغ الموضوع في "بنية" تحدد عناصره الأولية، قبل أن تُوقع في النظام الشامل»¹.

كما يقترح هذا الباحث تصورات أخرى لمصطلح البنية تبعا لطبيعة السياق الذي ترد فيه، «فهو في دراساته عن "ديكارت" و"باسكال" و"راسين" يقصد بالبنية النظام، أو الكل المنظم الشامل لمجموعة من العلاقات بين عناصره، هذه العناصر التي تتحدد طبقا لعلاقتها داخل الكل الشامل، ولكنه يستخدم البنية في كتابه "نحو اجتماعية القصة" بمفهوم الشكل القصصي أحيانا، والنظام الداخلي للقصة أحيانا أخرى، ثم يقرن هذا المفهوم الأخير بالبنيتين الفكرية والاجتماعية للعصر»².

إن في هذا التصور المنهجي إشارة إلى توجه خاص ضمن الحقل البنيوي، وهو ما يعرف بالبنيوية التكوينية، حيث كان "لوسيان جولدمان" أكثر المفكرين إسهاما في مجالها، متأثر في ذلك بمقولات المفكر والناقد المجري "جورج لوكاتش" الذي لولا أفكاره الماركسية، لما ظهرت البنيوية التكوينية على النحو الذي ظهرت عليه، إضافة إلى عالم النفس السويسري "جان بياجيه"، الذي استعار منه مصطلح البنيوية التكوينية³.

1- المرجع نفسه، ص 175.

2- المرجع السابق، صلاح فضل، نظرية البنائية، ص 192.

3- ينظر: ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص 76.

لقد تأثرت البنيوية التكوينية معرفيا بالماركسية «انطلاقا من المصطلحين الشهيرين؛ "البنية التحتية" (Infrastructure)، و"البنية الفوقية" (Superstructure)» في نشأة مفهوم البنيوية في القرن العشرين تأثيرا لا يُدفع، وكأن البنية بالمفهوم البنيوي هي قانون التكوّن، والمفهومية لمجموعات مختلفة¹، وإذا أمعنا النظر في كل من البنيوية والماركسية، تبدى لنا نقطة لقاء جوهرية بينهما، حيث أن كلاهما يستلهم مرجعيته الفكرية، وتصوره المنهجي من مفهوم البنية وصلتها بثنائية الجزء والكل ضمن شبكة معقدة من العلاقات. والبنيوية التكوينية إنما تبلورت مقولاتها المنهجية في إطار السعي «لإنقاذ البنيوية والاجتماعية جميعا بالإفادة من أفضل ما فيهما من مبادئ التأصيل المضموني في الثانية، والتأصيل الشكلي في الأولى، ثم تأسيس نظرية نقدية على أنقاض من ذلك»².

وهذه التركيبة المنهجية الجديدة القائمة على المزاوجة بين رؤيتين نقديتين لكل منهما خصوصيته في التعامل مع النص؛ وهما الاجتماعية والبنيوية، استطاعت فرض حضوره في الساحة النقدية تنظيرا وإجراء حاملة هوية البنيوية التكوينية التي «تسعى إلى إقامة تناظر (Homologie) بين البنية النصية، والبنية الذهنية للفئة الاجتماعية التي يستوحىها النص، فكانت البنيوية التكوينية تهجينا واضحا للهيكل البنيوي بالروح الاجتماعية»³.

- 1- عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، مرجع سابق، ص 193.
- 2- عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي - معالجة تفكيكية سيميائية مركبة "زقاق المدق"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 8.
- 3- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ص 146.

وهكذا ظهرت البنيوية التكوينية استجابة لمساعي بعض المفكرين، والنقاد الماركسيين، لوضع طرح بنيوي يجمع بين الصياغة الشكلانية، وأسس الفكر الماركسي، وهذا التوجه يهدف أساساً إلى ربط النص بسياقه الاجتماعي من منطلق تأكيد العلاقة بين خارج النص وداخله¹، فهو يراعي حيثيات النص من تاريخ، وعلم اجتماع، وعلم نفس اجتماعي، وكأن هذا التوجه البنيوي التكويني أتى كرد فعل على التوجه الشكلاني الخالص، بهدف إعادة الاعتبار لسياقات النص الأدبي، والتركيز على خصوصياته دون عزله عن علاقته بالمجتمع والتاريخ.

ولا بد من الإشارة إلى فكرة جوهرية، سبق أن أشار إليها "رولان بارت" في تحديده للطبيعة الرؤية التي يفترض بالناقد اعتمادها في ولوجه نسق النص، إذ يُفترض به أن «لا يحاول اكتشاف بناء النص بل يحاول اكتشاف إمكانياته البنائية (Structuration)، وهي كلمة فرنسية، والإنجليزية (Structuring)، ومن ثم فالناقد يركز على تأثير الدوال (Signifiers)؛ أي العناصر ذات الدلالة التي تقوم بترحيل (To defer)، أو إرجاء المعنى (Suspension) من خلال المادة الفنية التي تتجاوز معنى الألفاظ»²، وفي ضوء هذه الرؤية تحقق نوع من الاتفاق لدى نقاد البنيوية على «وصف "البنية" بأنها نموذج إجرائي»³.

1- ينظر: بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، القاهرة، 2006، ص 133.

2- محمد بوعناني، مرجع سابق، ص 109.

3- عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1990، ص 62.

وتأخذ "البنية" تصورا مختلفا نوعا ما في خطاب البنيوية التكوينية؛ حيث تحمل في ذاتها دلالة النص، ولا تتيسر مقارنتها إلا «في إطار خارج ثقافي إبداعي، دون إهمال إطار المجال الإبداعي والثقافي الذي انبثق منه النص، بخاصة على شاكلته الخاصة في مرحلته المحددة، وواقعه الاجتماعي الخاص»¹.

إن تعدد معاني مصطلح "البنية" مرده إلى حضورها الجوهرى في حقول معرفية مختلفة، فضلا عن اختلاف الباحثين في طرائق التفكير، ومناهج البحث، وآليات التأويل...، لذا فإن هذا المصطلح شأنه شأن أغلب المصطلحات لم يكن بمعزل عن الإبهام في تحديد ماهيته؛ بسبب هذه التعددية، وهذا الاختلاف إلا الأمر ليس بهذا السوء، فقد تسنى له بفضل ذلك أن يحمل صفة المرونة في التوظيف والممارسة، فضلا عن الانفتاح على العديد من العمليات التوصيفية على اختلاف محدداتها الفلسفية، والجمالية، واللسانية، والعلمية.

وإذا كان مفهوم البنية قد شهد تفاوتاً في اختلاف وجهات نظر أهل البحث والتفكير فإن البنيوية بوصفها تصورا قد شهدت العديد من الاجتهادات في ضبط الماهية، وتحديد الخصوصية المعرفية؛ حيث أقبل كل بنيوي تقريبا يحدد نسقه الخاص ضمن هذا التصور العام، مما دفع "بارت" إلى القول: «إن البنيوية ليست مدرسة، أو حركة، أو مفردات، بل نشاط يمضي إلى ما وراء الفلسفة، وتتألف من سلسلة متوالية من العمليات العقلية التي

1- محمد بلوحي، الخطاب النقدي المعاصر من السياق إلى النسق (الأسس والآليات)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2002، ص 98.

تحاول إعادة بناء الموضوع لتكشف عن القواعد التي تحكم وظيفته»¹، بينما "دريدا" يقر بـ «أن البنيوية تحيا في - وبخلاف - الواقع بين وعدا وممارستها»².

أما البعد اللغوي بتقنياته المتعددة، فكانت له الصدارة في البحث والمكاشفة، وتحديد الأنساق البنيوية في الخطابات الأدبية، حيث يتم استقراء دلالية بناها انطلاقا من القواعد النحوية، والصوتية، والصرفية، والمعجمية، وكذلك قوانين تحليل الخطاب، وهكذا تتحدد ماهية البنيوية في النقد على أنها «تعني محاولة التوحد بين لغة الأثر الأدبي، والأثر الأدبي نفسه، باعتباره نسقا يتألف من جملة عناصر من الدلالات الشكلية»³.

وأول ظهور للاصطلاح البنيوي بهذا المفهوم كان مع الشكلايين الروس «في البيان المنهجي الذي أصدره اثنان منهم لعلهما "جاكسون"، و"يوري تنيانوف" سنة 1928 في خصوص العلاقة بين نماذج التحليلين اللغوي والأدبي...؛ حيث ظهر المصطلح بطريقة منهجية مقصودة، عكس استعمالاته العفوية السابقة»⁴.

كما أن ظهوره في النقد الغربي المعاصر إنما تأتي استجابة لمتطلبات منطق المنظور العلمي، وما يميزه من دقة في الدراسة والتحليل، وتم الاشتغال على ضرورة «إبراز العلاقة المتبادلة بين ذهن الناقد من جهة وبين هذا المنطق من جهة أخرى؛ نظرا لأن المفهوم أو

1- عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الكتب، مصر، 2002، ص 488.

2- المرجع نفسه، ص 488.

3- سمير سعيد حجازي، إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر، دار طيبة، القاهرة، مصر، 2004، ص، 213.

4- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، مرجع سابق، ص 118.

المصطلح البنوي قد ظهر في مجال الفكر النقدي لمحاولة تحرير لغة النقد من طبيعتها الكيفية والمذهبية، وجعلها لغة قريبة من لغة العلم الكمية¹؛ أي الانتقال بالخطاب النقدي من لغة النسبية إلى لغة العلم المضبوطة، ولعل هذا المسعى كان من المحطات الجوهرية لذلك الانتقال الذي شهده نقد النص من موقع السياقية إلى موقع النسقية، ولم تكن منظومة الاصطلاح النقدي بمعزل عن هذا التحول، إذ لا بد لكل مرحلة من التفكير خصوصية مصطلحية تعبر عنها.

وهكذا افتك التصور البنوي هويته كروية منهجية عميقة الطرح في تفاعلها مع مفهوم البنية، كما تميز بصفة نقد «داخلي يقارب النصوص مقارنة آنية محايدة؛ تتمثل النص بنية لغوية متعاقبة، ووجودا كلياً قائماً بذاته، مستقلاً عن غيره»²، وبهذا التصور الجديد في تاريخ الممارسة النقدية تحولت مقاربات الأعمال الأدبية لتأخذ طابع الدراسة المحايدة من زاوية أن اللغة نسق من العلامات تتحدد معرفتها انطلاقاً من نظامها الخاص الذي اجتمعت في كنفه.

واقتران البنيوية بمصطلح المحايدة إنما جاء للدلالة على الاهتمام بالشيء من حيث هو ذاته وفي ذاته؛ أي تفسير الأدب انطلاقاً منه، ووصولاً إليه من منظور القوانين التي تحكمه من الداخل، وتحدد طبيعة نسقه، وتفكيك عناصر بناءه إنما يفرضه مطلب الكشف عن أسرار التفاعل المتحقق بين العناصر، والأجزاء المشكلة لهذا النسق أو النظام بغض النظر

1- سمير سعيد، مرجع سابق، ص 84.

2- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ط1، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 71.

عن طبيعته، وإذا ما تبدى لنا ذلك تجلت مختلف التحولات والوظائف التي تتحكم في تحديد طبيعته، وتوجيه مساره؛ أي أن فهم الكل لا يتأتى إلا بالفهم الموضوعي للجزء.

لهذا نلمح في المشهد البنيوي لحظتين «لحظة "الهدم" وهي عملية تقنية بالغة الخطورة في سبر المكونات، ولحظة "البناء" تتسم بالإبداعية؛ لأنها ستقتصر على العناصر الدالة على حقيقة الموضوع، فتشكل "قابليات الفهم"؛ أي (الشيء + صورة ذهنية)، فتقضي من خلالها على الانطباع بارتباطها بالتقنية في كلا اللحظتين، واستبعاد العناصر المشوشة التي يملها الموضوع من خلال سياقاته المختلفة»¹.

غير أن التصورات إن تعددت واختلفت فإن هناك دائما حسا مشتركا يفرض وجوده، ف «بين بنيوية (علم اللسانيات بدءاً من "سوسير")، وبنيوية ("لوفي شتراوس" الأنثروبولوجية)، وبنيوية ("ماركس")، و("جولدمان" الاجتماعية)، وبنيوية ("فوكو" الفلسفية)، وبنيوية (الشكلانيين) من ("جيوم") إلى ("ياكسون") تاهت مقادير التصور»²؛ بسبب افتقار الطرح البنيوي في خطاب المعرفة عموماً لما يسمى بالرؤية الموحدة في التصور، وغياب هذا المكسب لم يقتصر على الممارسة المنهجية فحسب، بل تعداها إلى الممارسة المصطلحية، وإذا كانت هذه الرؤية مغيبّة على مستوى الحقل المعرفي الواحد، فما بالك بحقول المعرفة مجتمعة.

ومن الإشكاليات التي تؤرق الممارسة المصطلحية في الحقل البنيوي العربي، أن الناقد الغربي قد عكف على توظيف مصطلحاته وفق ما تتيحه له فرص التعبير الدالة عن المفاهيم التي يريدونها دون عناء، فتتحقق لديه الصلة بين منطقها الخاص، والتصور العام لموضوع بحثه

1- حبيب مونسي، مرجع سابق، ص 179.

2- عزت محمد جاد، مرجع سابق، ص 279.

في الطرح البنيوي، أما الناقد العربي حين عمد إلى نقل هذه المصطلحات تحت توصيف «مفهوم (Structuralisme génétique) (البنوية التوليدية)، أو مفهوم (Déplacement) (الإزاحة)، أو مفهوم (Vision du monde) (رؤية العالم)، أو مفهوم (Structure poétique) (بنية شعرية)، أو غيرها من المفاهيم التي شاع استخدامها في نصوص النقد الجديد، نلاحظ أولاً أنها ترجمت ترجمة حرفية، ونلاحظ ثانياً أنها لم تحدد مدلولاتها في بنية اللغة والثقافة العربية»¹.

وما يؤكد عجز الناقد العربي عن تمثل المصطلحات النقدية الوافدة في طوري الحداثة وما بعد الحداثة عموماً، أن توظيفه لها قد خضع بشكل أو بآخر «لاستخدامات شكلية غامضة، تعزله عن تحقيق الدلالة الجوهرية القائمة في مجال استعمالها في النقد الغربي، بحيث يمكننا القول بأن المصطلحات أو المفاهيم الشائعة في كتابات نقدنا الجديد يغلب عليها الاضطراب، والغموض، والفوضى، وخلوها من الدلالة الفكرية، واللغوية، والثقافية، بحيث تبدو للمتلقي مفردات غريبة عن مفردات لغته العربية رغم تداولها في أوساطه الثقافية»².

ولعل ما حال دون التمثل الجيد لمنظومة المصطلحات الغربية أن الناقد العربي قد عمد إلى اقتطاعها من نسقها النقدي الخاص خصوصية تستمد روحها من الخطاب الغربي، دون هدم وتفكيك داخلي غرضه بناء منظومة مصطلحية تأخذ من الآخر، وتحقق دلالتها

1- سمير سعيد، مرجع سابق، ص 79-80.

2- المرجع نفسه، ص 82.

الفعلية في الذهنية العربية باستلهاهما مرجعية خاصة في الثقافة العربية، فعوض أن تقع موقع الوافد بالنسبة إليها تصبح جزءاً من روحها.

وما يمكن استنتاجه مما تقدم أن الحقل البنيوي في الخطاب النقدي قد عرف عدداً من الوحدات المصطلحية التي راحت تتجاوز فكرة الدلالة الموحدة في التداول والاستعمال إلى ما عداها من تصورات منهجية، ويمكن تفسير هذه الظاهرة بذلك النزوع الجامح نحو رؤية منهجية مركبة، تتعدد مستوياتها ومقولاتها خضوعاً لسلطة النص، وتبعاً لذلك تعددت المصطلحات، وتنوعت المفاهيم، فمصطلح "البنية" كما سبقنا الإشارة إليه نجده يأخذ دلالة مختلفة بانتقاله من الشكلائية إلى التكوينية بالرغم من انتماءهما إلى الحقل المعرفي نفسه ألا وهو البنيوية.

وإذا كان الناقد العربي قد عمد إلى تلقي منظومة بأكملها من المصطلحات النقدية الأجنبية، فإن هذا النقل وإن افتقر إلى مكسب التمثيل الجيد في الغالب، فإنه ساهم إلى حد ما في إحداث جملة من التحولات على مستوى هذه المنظومة، ليجد هذا الناقد نفسه في مواجهة تصورات لها امتداد في موروثة النقدي الذي يكاد ينسلخ عنه، وتنقلا بين هذا الكم من المصطلحات الوافدة ظل مهوساً بسؤال الحداثة النقدية.

الهوامش:

- 1- سورة البقرة، الآية: 22.
- 2- سورة التوبة، الآية: 109.
- 3- سورة الكهف، الآية: 21.
- 4- ابن منظور، لسان العرب، مج2، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، (د.ت.ط).

- 5- ابن منظور، لسان العرب، مج2، ط3، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2004.
- 6- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج1، ط1، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، 2008.
- 7- أدبث كرزويل، عصر البنيوية، تر. جابر عصفور، ط1، دار سعد الصباح، الكويت، 1993.
- 8- بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، القاهرة، 2006.
- 9- بشير تاويريت، مناهج النقد الأدبي المعاصر - دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2008.
- 10- بوعناني سعاد آمنة، بين المفهوم والمصطلح - المصطلح اللساني نموذجاً، مجلة المصطلح، ع1، إصدار مخبر العلوم الإنسانية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، مارس 2002.
- 11- جان بياجيه، البنيوية، تر. عارف منيمنة وبشيري أوبري، ط4، منشورات عبيدات، بيروت - باريس، لبنان - فرنسا، 1985.
- 12- جزار جهامي، سميح دغيم، رفيق العجم، موسوعة مصطلحات الفكر النقدي العربي والإسلامي المعاصر، ج1، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 2004.
- 13- حبيب مونسى، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي - دراسة في المناهج، منشورات دار الأديب، وهران، 2007.

- 14- روجر فاوهر، اللسانيات والرواية، تر. لحسن أحمامة، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1997.
- 15- زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، مصر، (د.ت.).
- 16- سمير سعيد حجازي، مشكلات الحداثة في النقد العربي، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، 2002.
- 17- سمير سعيد حجازي، إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر، دار طيبة، القاهرة، مصر، 2004.
- 18- صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 1996.
- 19- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1985.
- 20- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2007.
- 21- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط2، الدار العربية للكتاب، 1982.
- 22- عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، (د.ت.ط.).
- 23- عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1990.

- 24- عبد الله محمد الغدامي، المشاكلة والاختلاف (قراءة في النظرية النقدية العربية، وبحث في الشبيه المختلف)، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، لبنان/ المغرب، ط1، 1994.
- 25- عبد الملك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية (تحليل لمجموعة من الأمثال الزراعية والاقتصادية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 2007.
- 26- عبد الملك مرتاض، النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1983.
- 27- عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردى - معالجة تفكيكية سيميائية مركبة "زقاق المدق"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- 28- عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد (متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
- 29- عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الكتب، مصر، 2002.
- 30- عمار ساسي، المصطلح في اللسان العربي من آلية الفهم إلى أداة الصناعة، ط1، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، 2009.
- 31- محمد بلوحي، الخطاب النقدي المعاصر من السياق إلى النسق (الأسس والآليات)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2002.
- 32- محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي - نماذج تحليلية من النقد العربي (المنهج البنيوي - البنية - الشخصية)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1991.

- 33- محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة - دراسة ومعجم إنجليزي - عربي، ط3، الشركة المصرية العالمية للنشر - كونجمان، مصر، 2003.
- 34- ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005.
- 35- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، ط1، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، أريد - عمان، الأردن، 2009.
- 36- يوسف مارون، اللغة والدلالة - معجم في اللغة العربية، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، ليبيا - لبنان، 2007.
- 37- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008.
- 38- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، 2002.
- 39- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.